الموتُ والصغير

تـــدبرت أمـــر المـــوت طفـــلا ويافعـــا ... وفكـــرت فيـــه منـــذ كنـــت كبـــرعم
ســـمعته يعـــوي فـــي صُـــراخِ نَـــوادبٍ ... وكنـــــت أراه فـــــي عيـــــونِ مُيَـــــتَّمِ
أحـــاذر طيـــف المـــوت يمســـك رقبتـــي ... ويُحْـــدِقُ إحْـــداقَ السِّـــوارِ بِمِعْصَـــمي
وإنْ دَق سَـــمْعي فـــي الليـــالي عِـــواؤهُ ... تَخَبَّـــأتُ فـــي جَـــوفِ الفِـــراشِ كَغَـــيلَمِ
فقلـــت إذا مـــا فاجـــأ المـــوت غفلتـــي ... ســـأجري إلـــى أحضـــان أمـــي لأحتمـــي
وإذ صـــرت غـــرا قلـــت ســـوف أرده ... بضـــربة بـــوكس كالحديـــد فيرتمـــي
وقلـــت صـــبيا ســـوف أصـــبح فـــي غـــد ... طبيبـــا يـــرد المـــوت يومـــا بمـــرهم
إذا كنـــــت أحيـــــا لا يفعـــــل إرادي ... فـــأين حيـــاة ســـمعي عنـــد الـــتفهم
واجهـــت يومـــا بالســـؤال معلمـــي ... فأنشـــأ يهـــذي بـــالجواب معلمـــي
لقـــد قـــال إن المـــوت حـــق مقـــدس ... أحبـــت كـــلام لـــيس يقنـــع آدمـــي
إذا كـــان حكـــم المـــوت حقـــا لمـــا تـــرى ... فمـــن ظـــل يحيـــا بـــاطلا جاهـــل عمـــي
وإن جـــل حـــق المـــوت عنـــدك فـــاتح ... تنلـــه عزيـــزا طائعـــا غيـــر مـــرغم
فأصـــغى وأرغـــى ثـــم أزبـــد غاضـــبا ... وكشـــر عـــن أنيـــاب أشـــرس طقـــم
وصـــاح علـــي الله أكبـــر هاجمـــا ... فأطلقـــت رجلـــي للريـــاح كـــأدهم
وأخبطـــت فـــوق الطـــاولات حـــذاره ... فخـــبط خلفـــي فوقهـــا كالمســـمم
قفـــزت مـــن الشـــباك أركـــض هاربـــا ... وأســـرعت نحـــو الســـطح أرقـــى الســـلم
ولكـــن جـــرى الاســـتاذ خلفـــي هائجـــا ... كنـــور جـــريح ريـــش ظلمـــا باســـهم
وأســـرع يرقـــى الســـطح نحـــوي كقائـــد ... تســـلق أســـوارا بجـــيش عرمـــرم
تخيلـــت أنـــي فـــوق ســـطحي آمـــن ... فجلجلـــت فيـــه : ويـــك عنتـــر أقـــدم
ولمـــا رأيـــت الغـــيظ طيـــر عقلـــه ... وأيقنـــت إن وافـــى سيشـــرب مـــن دمـــي
صـــرخت أيـــا اســـتاذ رفقـــا بطـــائش ... لقـــد غـــرر الشـــيطان عقلـــي فـــارحم
ولكـــن ســـدى يســـترحم الصـــوص بأشـــقا ... وهـــددت أنـــي إن أتـــاني ســـأرتمي
وأدركـــت أن المـــوت حـــق وإن قســـا ... فلـــيس بأقســـى مـــن فـــؤاد معلمـــي
يـــا حضـــرة الاســـتاذ هبئـــي مـــذنبا ... إلام عـــذابي والعقـــاب إلـــى كـــم
ولكـــن ســـدى يســـترحم الفـــأر هـــرة ... والقيـــت نفســـي مثـــل نســـر محـــوم
وأدركـــت أن المـــوت حـــق وإن قســـا ... فلـــيس بأقســـى مـــن فـــؤاد معلمـــي
يـــا حضـــرة الاســـتاذ هبئـــي مـــذنبا ... إلام عـــذابي والعقـــاب إلـــى كـــم
ولكـــن ســـدى يســـترحم الفـــأر هـــرة ... والقيـــت نفســـي مثـــل نســـر محـــوم
ومـــن يومهـــا أدركـــت ظلـــم أناســـها ... وذقـــت أن المـــوت لـــيس بـــأظلم

صـــدقت أن المـــوت حـــق إن قســـا فلـــيس بأقســـى مـــن فـــؤاد معلمـــي
أن المـــــاء مـــــدمع صـــــخرها ولكـــن دمـــع النـــاس ملـــح علـــى ظمـــي
ولمـــا خبطـــت الصـــخر خبطـــا بســـقطتي عند الصخر يبلي صارخا (آه جمجمي)
جوتـــك فأصـــفح عـــن حبـــي إذا صـــبا وإن يـــــرحم الصـــــبيان يهابـــــك
ومـــن يومهـــا أحسســـت أنـــي مجـــرم لأنـــي فـــدغت الصـــخر عنـــد تحطمـــي
ولمـــا رأيـــت النـــاس ذلـــوا لحكمـــه فـــإن يعـــوس روا خلفـــه نحـــو مـــبهم
رســـو رجـــالا واحـــدا إثـــر واحـــد ليطمـــرهم تحـــت التـــراب المكـــوم
عجبـــت لهـــذا قـــد حمـــي مشـــرد يشـــرد قومـــا فـــي تجاهـــل أيهـــم
كرهنـــه كـــره المـــوت قبـــل تعرفـــي بلفظـــة نكـــره المـــوت)) إذ كنـــت أعجمـــي
وخيـــل لـــي أن الـــذي مـــات أبلـــه لأنـــــه لـــــم يـــــدفع أداه ويســـــلم
وخـــل لـــي أنـــي ســـأجبي مخلـــدا إلـــى أبـــد الأزمـــان رهـــن التـــنعم
رأى الشـــعراء الكـــون عـــرس قفـــردا علـــى كـــل غصـــن فـــي الطبيعـــة ملهـــم
وأطلقـــت جنحـــي كـــي أغـــرد مـــثلهم علـــى كـــل ميـــاس وفـــي كـــل موســـم
ولكـــــن شـــــيطاني كبـــــوم رأيتـــــه بجربـــــة عمـــــري فـــــي زمـــــان مهـــــدم
فســـقيا لعهـــد المـــوت يـــأتي كفـــارس بـــرمح علـــى مـــتن الجـــواد المطهـــم
وســـــــــحقا لعرجـــــــــة المـــــــــوت يبنـــــــــي كعـــــــــالم
تحيـــرت حتـــى حـــار فـــي تحيـــري تألمـــت حتـــى مـــل منـــي تـــالمي
ســـوت كثيـــرا عـــن دروســـي طالبـــا وعـــن شـــرح اســـتاذ وشـــيخ معمـــم
أفكـــــــــر فـــــــــي هـــــــــذا العـــــــــويص جوابـــــــــه
أحقـــا ســـتغنى ذات يـــوم وتنتهـــي كـــأن لـــم نكـــن يومـــا ولـــم نتنســـم
أحقـــا ســـنردى لا محالـــة فـــي كـــأن لـــم نكـــن نبكـــي ولـــم نبتســـم
تـــوطن فـــي الســـؤال كـــأنني فـــؤاد تلظـــى فـــي ايـــم
وتبقـــى نجـــوم الليـــل تســـهر دوننـــا مـــع القمـــر الحلـــو الجميـــل المقسَّـــم
أمـــا تســـتحي نفنـــى وتبقـــى ضـــحكة تثرثـــــــــــر فـــــــــــي
وكيـــف لتلـــك الشـــمس تشـــرق بعـــدنا وتغـــرب شـــأوَ الـــدهرِ دون تَبَـــرُّمِ
وتنســـى عيونـــا تـــروض بـــدمعها وتســـلو قلوبـــا أســـكرتها مـــن الـــدم
وكيـــف يجافينـــا الربيـــع حبيبنـــا ومـــا أخلـــف الميعـــاد يومـــا بمقـــدم
أيســـعد فـــي الـــدنيا بـــدون حبيبـــه إذن مـــت قريـــر العـــين قيصـــر وأنغـــم
أبغـــض جفنـــا فـــوق عـــين قريـــرة ويفـــتح عينـــا دون جفـــن مـــورم